

تفريغ حلقات

محال السرياني

في التعليق على

تفسير الحافظ بن كثير لأيات من القرآن الكريم

فضيلة الشيخ العلامة
ربيع بن هادي عمير المدخلي
رئيس قسم السنة بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية "سابقاً"

قام بها

فريق التفريغات بموقع ميراث الأنبياء



miraath.net

ميراث الأنبياء

www.miraath.net

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يسر موقع ميراث الأنبياء أن يقدم لكم

حَجَّالْبَيْتِ رُضَيَّانَ

في التعليق على
تفسير الحافظ ابن كثير رحمه الله
لآيات من القرآن الكريم

عقدها

فضيلة الشيخ العلامة

أَبِي بَكْرٍ بْنُ عَمْرٍو (الْحَمْدُ لِلَّهِ)

- حفظه الله ورعاه -

في بيته بمكة المكرمة خلال شهر رمضان المبارك لعام خمسة وثلاثين
وأربعمائة وألف للهجرة النبوية نسال الله - سبحانه وتعالى - أن ينفعنا وإياكم
وأن يجزي الشيخ خير الجزاء.

المجلد الثامن

المُتَن:

بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمةً للعالمين وعلى آله وصحبه أجمعين.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَنْقُومِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِيكُمْ فَأَنْقُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِيكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿٥٤﴾﴾ البقرة: ٥٤

قال الإمام ابن كثير - رحمه الله تعالى - : هذه صفة توبته تعالى على بني إسرائيل من عبادة العجل، قال الحسن البصري - رحمه الله - في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَنْقُومِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ﴾ فقال: ذلك حين وقع في قلوبهم من شأن عبادتهم العجل ما وقع حين قال الله تعالى: ﴿وَلَمَّا سَقَطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِنْ لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا﴾ الأعراف: ١٤٩

قال: فذلك حين يقول موسى: ﴿يَنْقُومِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ﴾ وقال أبو العالية، وسعيد بن جبیر، والربيع بن أنس: ﴿فَتُوبُوا إِلَى بَارِيكُمْ﴾ أي إلى خالقكم. قلت: وفي قوله هاهنا: ﴿إِلَى بَارِيكُمْ﴾ تنبيه على عظم جرمهم، أي: فتوبوا إلى الذي خلقكم وقد عبدتم معه غيره.

وروى النسائي، وابن جرير، وابن أبي حاتم، من حديث يزيد بن هارون، عن الأصبغ بن زيد الوراق عن القاسم بن أبي أيوب، عن سعيد بن جبیر، عن ابن عباس، قال: قال الله - تعالى - : إن توبتكم أن يقتل كل رجل منهم كل من لقي من ولد ووالد فيقتله بالسيف، ولا يبالي من قتل في ذلك الموطن، فتاب أولئك الذين كانوا خفي على موسى وهارون ما اطلع الله من ذنوبهم، فاعترفوا بها، وفعلوا ما أمروا به فغفر

الله - تعالى - للقاتل والمقتول، وهذا قطعة من حديث الفتون، وسيأتي في تفسير سورة طه بكماله - إن شاء الله - .

وقال ابن جرير: حدثني عبد الكريم بن الهيثم، حدثنا إبراهيم بن بشار، حدثنا سفيان بن عيينة، قال: قال أبو سعيد: عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: قال موسى لقومه: ﴿فَتُوبُوا إِلَى بَارِيكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِيكُمْ فَثَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾

قال أمر موسى قومه - من أمر به عز وجل - أن يقتلوا أنفسهم قال: واحتبى الذين عبدوا العجل فجلسوا، وقام الذين لم يعكفوا على العجل، فأخذوا الخناجر بأيديهم، وأصابتهم ظلة شديدة، فجعل يقتل بعضهم بعضا، فانجلت الظلة عنهم، وقد أجلوا عن سبعين ألف قتيل، كل من قتل منهم كانت له توبة، وكل من بقي كانت له توبة.

وقال ابن جريج: أخبرني القاسم بن أبي بزة أنه سمع سعيد بن جبير ومجاهدا يقولان في قوله تعالى فاقتلوا أنفسكم، قال: قام بعضهم إلى بعض بالخناجر فقتل بعضهم بعضا، لا يحنور رجل على قريب ولا بعيد، حتى ألوى موسى بثوبه، فطرحوا ما بأيديهم، فكشف عن سبعين ألف قتيل.

وإن الله أوحى إلى موسى: أن حسبي، فقد اكتفيت، فذلك حين ألوى موسى بثوبه، [وروي عن علي - رضي الله عنه - نحو ذلك].

وقال قتادة: أمر القوم بشديد من الأمر، فقاموا يتناحرون بالشفار يقتل بعضهم بعضا، حتى بلغ الله فيهم نقمته، فسقطت الشفار من أيديهم، فأمسك عنهم القتل، فجعل لحيهم توبة، وللمقتول شهادة.

وقال الحسن البصري : أصابتهم ظلمة حندس ، فقتل بعضهم بعضا [نعمة] ثم انكشف عنهم ، فجعل توبتهم في ذلك .

وقال السدي في قوله : ﴿ فَأَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ﴾ قال : فاجتلد الذين عبدوه والذين لم يعبدوه بالسيوف ، فكان من قتل من الفريقين شهيدا ، حتى كثر القتل ، حتى كادوا أن يهلكوا ، حتى قتل بينهم سبعون ألفا ، وحتى دعا موسى وهارون : ربنا أهلك بني إسرائيل ، ربنا البقية البقية ، فأمرهم أن يضعوا السلاح وتاب عليهم ، فكان من قتل منهم من الفريقين شهيدا ، ومن بقي مكفرا عنه ؛ فذلك قوله : ﴿ فَتَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾

وقال الزهري : لما أمرت بنو إسرائيل بقتل أنفسها ، برزوا ومعهم موسى ، فاضطربوا بالسيوف ، وتطاعنوا بالخناجر ، وموسى رافع يديه ، حتى إذا أفنوا بعضهم ، قالوا : يا نبي الله ، ادع الله لنا . وأخذوا بعضديه يسندون يديه ، فلم يزل أمرهم على ذلك ، حتى إذا قبل الله توبتهم قبض أيديهم ، بعضهم عن بعض ، فالتقوا السلاح ، وحزن موسى وبنو إسرائيل للذي كان من القتل فيهم ، فأوحى الله ، جل ثناؤه ، إلى موسى : ما يحزنك ؟ أما من قتل منكم فحي عندي يرزقون ، وأما من بقي فقد قبلت توبته . فسر بذلك موسى ، وبنو إسرائيل . رواه ابن جرير بإسناد جيد عنه .

وقال ابن إسحاق : لما رجع موسى إلى قومه ، وأحرق العجل وذراه في اليم ، خرج إلى ربه بمن اختار من قومه ، فأخذتهم الصاعقة ، ثم بعثوا ، فسأل موسى ربه التوبة لبني إسرائيل من عبادة العجل . فقال : لا إلا أن يقتلوا أنفسهم قال : فبلغني أنهم قالوا لموسى : نصبر لأمر الله . فأمر موسى من لم يكن عبد العجل أن يقتل من عبده . فجلسوا بالأقنية وأصلت عليهم القوم السيوف ، فجعلوا يقتلونهم ، وبكى موسى ، وبهش

إليه النساء والصبيان، يطلبون العفو عنهم، فتاب الله عليهم، وعفا عنهم وأمر موسى أن ترفع عنهم السيوف.

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: لما رجع موسى إلى قومه، وكانوا سبعين رجلاً قد اعتزلوا مع هارون العجل لم يعبدوه. فقال لهم موسى: انطلقوا إلى موعد ربكم. فقالوا: يا موسى، ما من توبة؟

قال: بلى، ﴿فَأَقْضُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِنْدَ بَارِيكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ الآية،

فاخترطوا السيوف والجرزة والخناجر والسكاكين. قال: وبعث عليهم ضباباً. قال: فجعلوا يتلامسون بالأيدي، ويقتل بعضهم بعضاً. قال: ويلقى الرجل أباه وأخاه فيقتله ولا يدري. قال: ويتنادون [فيها]: رحم الله عبداً صبر نفسه حتى يبلغ الله رضاه، قال: فقتلهم شهداء، وتيب على أحيائهم، ثم

قرأ: ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾

تعليق الشيخ:

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اتبع هداه.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَنْقُومِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِيكُمْ فَأَقْضُوا

أَنْفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِنْدَ بَارِيكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾

لما وقع بنو إسرائيل في هذه الطَّامة وهي عبادة العجل الله - سبحانه وتعالى - بعث إليهم موسى،
فأنقذهم به من العذاب الشديد، والهوان والذلُّ وآتاه من الآيات العظيمة الأمر الذي ذكره الله -
تبارك وتعالى -.

كُلُّ هذه الآيات العظيمة يرونها ويؤمنون بصدق موسى ثم بعد ذلك يعبدون العجل، ذلك
لتعنتهم وانحرافهم الشديد واجترائهم على أنبيائهم جميعاً لا موسى وحده بل كانوا يقتلون النبيين
ويقتلون من يأمرهم الناس بالقسط، ومن سوء أخلاقهم وانحرافهم بعد أن شهدوا هذه الآيات
العظيمة يذهبون فيعبدون عجلاً لا يتكلم ولا يعطيهم شيئاً - بارك الله فيك - مثل الصنم!

ما الفرق بين عبادة الصنم وعبادة العجل؟!

ومع ذلك يأمرهم الله - تبارك وتعالى - بالتوبة ومن توبتهم أن يقتلوا أنفسهم، فامثلوا في هذه
الحالة وقام بعضهم يقتلُ بعضاً؛ يقتل الوالد ابنه والولد يقتل أباه يقتل كل من وجد عنده حتى قُتل
منهم سبعون ألفاً، ثم تاب الله عليهم فرفعوا السيوف عن بعضهم البعض، قبل الله توبتهم بعد هذا
العقاب الشديد، هذا لا يوجد في ملَّة محمدٍ - صلى الله عليه وسلم -؛ يقبل الله التوبة دون هذا والله
يُحب التوابين ويُحب المتطهرين، لو أتى ما أتى من الذنوب ثم تاب إلى الله نَدِمَ وأخلص في توبته
وأصلح فإن الله يقبل منه هذه التوبة ويحبه عليها ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ البقرة: ٢٢٢

لشدة اجترائاتهم وتعنتهم على أنبيائهم جعل الله عليهم الآصار والأغلال، ومن هذه الآصار والأغلال أن يقتل بعضهم بعضاً، وتعبدهم الله أنه إذا وقعت النجاسة على جلد أحدهم عليهم أن يقطع جلدهم ويتطهر من هذه النجاسة وهذا لا يوجد مثله في هذه الملة السمحة، ملة محمد - صلى الله عليه وسلم - وعُدتم بالحنيفية السمحة،

فالله - سبحانه وتعالى - يرحم هذه الأمة لأنها خير أمة أخرجت للناس فيقبل توبة التائبين - سبحانه وتعالى - ويخفف عنهم في التشريعات - سبحانه وتعالى - : ﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِّنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ﴾ المائدة: ٦

قرأتم وسمعتم الأقوال في توبتهم وقتل بعضهم بعضاً وأنهم كذا وكذا أقوال كثيرة بعضها أنهم من توبتهم أن يقتل بعضهم بعضاً هذا حاصلها، فاقتتلوا وقتل بعضهم بعضاً ونزلت توبة الله - تبارك وتعالى - عليهم،

﴿بَارِئُكُمْ﴾ خالقكم، ﴿فَتَوْبُوا إِلَىٰ بَارِئِكُمْ﴾ يعني خالقكم، الله هو الباري ومن أسماؤه الباري، ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلِيمٌ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ ٢٢ ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ ٢٣ ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ﴾ الحشر: ٢٢ - ٢٤

وهذا من أسماء الله الحسنى، وهي كثيرة تصل كما في الحديث تسعةً وتسعين مائة إلا واحدًا،
سبحانك اللهم وبحمدك نشهد أن لا إله إلا أنت، نستغفرك ونتوب إليك.

وللاستماع إلى الدروس المباشرة والمسجلة والمزيد من الصوتيات يُرجى زيارة موقع ميراث الأنبياء على الرابط

www.miraath.net



ميراث الأنبياء

وجزاكم الله خيرا.